

والسبب الثاني : أن طرقا القياس قد كثرت ، واشتبكت بعضها ببعض ، فكان يخالط اشتقاق الأسماء على الأوزان شيء من الاتفاق والاضطراب .

ومع كل ذلك ، فالقياس على الأوزان أقوى بكثير عند أسماء المعاني والصفات منه عند غيرها من الأسماء ؛ وذلك لأن أسماء المعاني والصفات ، قريبة جدا إلى الأفعال ، والأفعال غلب عليها القياس غلبة تكاد أن تكون كاملة . مثال ذلك أنا نرى (فرح) تكون إما فعلا ، فهي إذن مبنية على الفتحة ، أي : « فَرِحَ » ، أو صفة ، فهي إذن متصرفة ، أي : « فَرِحَ » . و (قرب) تكون فعلا ، إذا كانت الكسرة مقصورة ، أي : « قَرِبَ »^(١) ، وإذا مدّت أصبحت وصفا ، أي : « قريب » . ومثله كثير في كل اللغات السامية ، وأكثر منه ما تخالف فيه الفعل والاسم في الوزن ، وتوافقا في المعنى ؛ منه كل اسم على وزن فاعل ومِفْعَل .. إلى آخره ، وكل المصادر ، وغير ذلك مما لا يحصى .

وأكثر اللغات السامية ، أمسكت عن اشتقاق الأسماء الجديدة ، في زمان قديم جدا ، إلا على القليل من الأوزان ، كالمصادر والأنساب ، فأصبحت جملة أسمائها محدودة ، لايزاد^(٢) عليها إلا القليل في المدة الطويلة ؛ فاشتقاق الأسماء فيها ، ميت أو قريب من الميت . واللغة العربية دامت تشتق الأسماء الجديدة الكثيرة ، على الأوزان المتنوعة ، وكل شاعر من الشعراء المتقدمين ، كان يجوز له أن يرتجل الأسماء الجديدة ، على الأوزان المعروفة ، فكانت الكلمة تستخدم مرة واحدة في بيت من الشعر ، ثم تنسى متى نسى ذلك البيت ، فكانت جملة الأسماء غير محدودة ، بل قابلة للزيادة والنقصان ، في كل آن ، وكان عدد من الأسماء غير منته ، يوجد في القوة ، وإن لم يكن موجودا في الفعل والحقيقة . ثم أتى اللغويون ، وجمعوا الكلمات الموجودة في الشعر

(١) يقال : « قرب منه » بضم الراء ، و « قربه » بكسر الراء . انظر القاموس الخسيط (قرب) ١١٤/١

(٢) في الأصل : « لايزال » وهو تحريف .